

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا من يسْتَمِعُونَ القول فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ .

تفسير قوله تعالى : إن الله يدافع عن الذين

أيّها الأخوة الكرام ؛ الآية الكريمة وهي قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَانٍ كُفُورٍ ﴾

[سورة الحج الآية : ٣٨]

لو أنَّ الإنسان استعرض الآيات التي وعدَ الله بها المؤمنين ، فالله تعالى يُدافِعُ عن الذين آمنوا ، والله سبحانه وتعالى لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً ، والله سبحانه وتعالى ينصر المؤمنين ، لو أنَّ الإنسان استعرض الآيات التي تتحدث عن وعد الله للمؤمنين في الدنيا من التوفيق ، والنصر والتائيد ، والحفظ ، ثم لا يجدُ هذه الوعود مُحَقَّةً ماذا يفعل ، وكيف يُسِرِّ ذلك ؟ الله سبحانه وتعالى لا يُخْلِفُ وَعْدَهُ قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾

[سورة النساء الآية : ٨٧]

وزوال الكون أهون على الله من أن لا يُحَقِّقَ وَعْدَهُ ، وإذا رأيتَ وُعودَ الله عز وجل للمؤمنين ليست كما عليه ، قال تعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْفَفُوهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

[سورة النور الآية : ٥٥]

أين الاستخلاف ؟ وأين التّمكين ؟ وأين التّطمئن ؟ وقال تعالى :

﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِكَافِرِيهِنَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾

[سورة النساء الآية : ١٤١]

لهم علينا ألف سبيل وسيط و قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَيُثْبِتُ أَفْدَامَكُمْ ﴾

[سورة محمد الآية : ٧]

إذا رأينا وعود الله تعالى التي في القرآن الكريم لم تتحقق ، فكيف نفسر ذلك ؟! هناك تفسير واحد وهو أننا لسنا في المستوى الذي وصفنا به ولسنا من الإيمان بالمكان الذي نستحقه وعده الله عز وجل ، مَاذَا نَعْمَلْ ؟ نُصْلِحُ نُفُوسَنَا ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَانٍ كَفُورٍ ﴾

[سورة الحج الآية : ٣٨]

فالمؤمن الصادق والمخلص يُيسّر له الله أشخاصاً أقواءً يدافعون عنه وكأنّ هؤلاء مدفوعون من قبل الله عز وجل كي ، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام حينما دعى الله عز وجل قال كما في حديث عبد الله بن أبي أوفى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِّنْ بَنِي آدَمْ فَلَيَتَوَضَّأْ فَلِيُحْسِنْ الْوُضُوءَ ثُمَّ لِيُصْلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ لِيُشْرِكْ عَلَى اللَّهِ وَلِيُصْلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ لِيَقُلْ لَنَا إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَسْأَلُكُمْ مُوْجَبَاتَ رَحْمَتِكُمْ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكُمْ وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ لَا تَدْعُ لِي ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ وَلَا هَمًا إِلَّا فَرَجْتَهُ وَلَا حَاجَةً هِيَ لَكَ رِضاً إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ))

[روايه الترمذى]

لذلك أيها الأخوة الكرام ، آية آية في كتاب الله تعالى فيها وعد المؤمنين بوعده أو حفظه أو تمكينه أو تطمئن إن لم تروا أنها محققة ينبغي أن ننتهي أنفسنا ، ومن أصدق من الله حديثا . الآية التي بعدها ، آية دقيقة جداً ، قبل أن أشرحها أقدم لها بهذا التقديم النبي عليه الصلاة والسلام يقول : اللهم أرنا نعمك بكثرتها لا بزوالها فلا بد من أن ترى النعم ؛ هناك طريقان ؛ يمكن أن تكون هذه النعم متوافرة بين يديك ، وأنت بجهد فكري تنظر إلى هذه النعم ، فتشكر الله عليها ، ويمكن أن تقفرها لا سماح الله تعالى ، فتتعرف قيمتها .

فمن نعم الله التي لا تُحصى ؛ هذا التوازن بين القوى الذي جعله الله رحمة للضعفاء ، قال تعالى :

﴿ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدَمَتْ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

[سورة الحج الآية : ٤٠]

توازن القوى لصالح المؤمنين ، وهذه النعمة العظمى التي كانت بالعالم وكان الضياع يأخذون من الفريقين ما يشاءون حينما أصبحت القوة في بيته واحدة رأيت الفرق الواضح جداً بين توازن القوى ، وبين انفرادها وتلك النعمة مذكورة لذلك فقيدت ، وصارت قوّة في الأرض غاشية ، ومنحازةً انحيازاً أعمى ، وهذا ما كان ليكون يوم كان توازن للقوى قال تعالى :

﴿ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدَمَتْ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

[سورة الحج الآية : ٤٠]

لذلك هذا درس ؛ النعمة التي أنت فيها ينبغي أن تشكرها ، وإلا سوف تعرفها بفقدانها ؛ نعمـة الصحة ، ونعمـة المال والفراغ والأمن ، هذه النعـمـة التي تتـنـعـمـ بها ، حينـما لا تـنـكـرـ فيها ، ولا تشـكـرـ المولـي عـزـ وجـلـ رـبـاًـ أـنـرـكـاـهـ الإـنـسـانـ وـعـرـفـهاـ حـيـنـ فـقـدـهاـ ، فـالـإـنـسـانـ الـعـاقـلـ وـالـمـوـفـقـ الـذـي يـسـأـلـ اللهـ شـكـرـهـ تـعـالـىـ عـلـيـهاـ مـعـ وـفـرـتـهاـ لـاـ مـعـ زـوـالـهـ ، وـلـكـ يـقـوـلـ اللهـ عـزـ وجـلـ :

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

[سورة الحج الآية : ٤٠]

إذا أردتـ نـصـرـ اللهـ عـزـ وجـلـ المـطـلـقـ وـمـنـ أـمـتـعـ الـمـشـاعـرـ الـتـيـ يـشـعـرـ بـهـ الإـنـسـانـ حـيـنـماـ يـنـصـرـهـ اللهـ عـزـ وجـلـ ، هذا النـصـرـ يـنـتـافـسـ فـيـ الـبـيـعـ وـالـشـرـاءـ ، وـأـحـيـاـنـاـ يـنـتـصـرـ عـلـىـ مـنـ فـيـ الـبـيـتـ ، وـحـتـىـ عـلـىـ جـرـثـومـ دـخـلـ إـلـىـ جـسـمـهـ ، هذا النـصـرـ بـمـطـلـقـهـ أـلـيـسـ لـهـ قـانـونـ ؟ـ قـالـ تـعـالـىـ :

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

[سورة الحج الآية : ٤٠]

هلـ اللهـ تـعـالـىـ بـحـاجـةـ إـلـىـ أـنـ نـنـصـرـهـ ؟ـ عـنـ أـبـيـ ذـرـ عـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـيـمـاـ رـوـىـ عـنـ اللـهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ أـنـهـ قـالـ :

((يا عـبـادـيـ إـنـيـ حـرـمـتـ الـظـلـمـ عـلـىـ نـفـسـيـ وـجـعـلـتـهـ بـيـنـكـمـ مـهـرـمـاـ فـلـاـ تـظـالـمـواـ يـاـ عـبـادـيـ كـلـكـمـ ضـالـلـ))
 إـلـاـ مـنـ هـدـيـتـهـ فـاسـتـهـدـوـنـيـ أـهـدـكـمـ يـاـ عـبـادـيـ كـلـكـمـ جـائـعـ إـلـاـ مـنـ أـطـعـمـتـهـ فـاسـتـطـعـمـوـنـيـ أـطـعـمـكـمـ يـاـ
 عـبـادـيـ كـلـكـمـ عـارـ إـلـاـ مـنـ كـسـوـتـهـ فـاسـتـكـسـوـنـيـ أـكـسـكـمـ يـاـ عـبـادـيـ إـنـكـمـ تـخـطـئـوـنـ بـالـلـيـلـ وـالـنـهـارـ وـأـنـاـ
 أـغـفـرـ الذـنـوبـ جـمـيعـاـ فـاسـتـغـفـرـوـنـيـ أـغـفـرـ لـكـمـ يـاـ عـبـادـيـ إـنـكـمـ لـنـ تـبـلـغـوـاـ ضـرـيـ فـتـضـرـوـنـيـ وـلـنـ تـبـلـغـوـاـ
 نـفـعـيـ فـتـتـفـعـوـنـيـ يـاـ عـبـادـيـ لـوـ أـنـ أـوـلـكـمـ وـآخـرـكـمـ وـإـنـسـكـمـ وـجـنـكـمـ كـاتـنـوـاـ عـلـىـ أـتـقـىـ قـلـبـ رـجـلـ وـاحـدـ
 مـنـكـمـ مـاـ زـادـ ذـلـكـ فـيـ مـلـكـيـ شـيـنـاـ يـاـ عـبـادـيـ لـوـ أـنـ أـوـلـكـمـ وـآخـرـكـمـ وـإـنـسـكـمـ وـجـنـكـمـ كـاتـنـوـاـ عـلـىـ أـفـجـرـ
 قـلـبـ رـجـلـ وـاحـدـ مـاـ نـقـصـ ذـلـكـ مـنـ مـلـكـيـ شـيـنـاـ يـاـ عـبـادـيـ لـوـ أـنـ أـوـلـكـمـ وـآخـرـكـمـ وـإـنـسـكـمـ وـجـنـكـمـ
 قـامـوـاـ فـيـ صـعـيـدـ وـاحـدـ فـسـأـلـوـنـيـ فـأـعـطـيـتـ كـلـ إـنـسـانـ مـسـأـلـتـهـ مـاـ نـقـصـ ذـلـكـ مـمـاـ عـنـدـيـ إـلـاـ كـمـاـ
 يـنـقـصـ الـمـخـيـطـ إـذـاـ دـخـلـ الـبـحـرـ يـاـ عـبـادـيـ إـنـمـاـ هـيـ أـعـمـالـكـمـ أـحـصـيـهـاـ لـكـمـ ثـمـ أـوـفـيـكـمـ إـيـاـهـاـ فـمـنـ وـجـدـ
 خـيـرـاـ فـلـيـحـمـدـ اللـهـ وـمـنـ وـجـدـ غـيـرـ ذـلـكـ فـلـاـ يـلـوـمـنـ إـلـاـ نـفـسـهـ))

[روايه مسلم]

قالـ الـعـلـمـاءـ :ـ المـضـافـ مـحـذـوفـ ،ـ نـحـنـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـنـصـرـ دـيـنـ اللهـ حـيـنـماـ تـؤـديـ الـصـلـوـاتـ الـخـمـسـ وـلـاـ
 تـأـخـذـكـ فـيـ اللهـ لـوـمـةـ لـائـمـ ؟ـ هـذـاـ نـصـرـ لـدـيـنـ اللهـ تـعـالـىـ ،ـ وـحـيـنـماـ تـقـيمـ الشـرـعـ فـيـ عـمـلـكـ فـهـذـاـ نـصـرـ
 لـدـيـنـ اللهـ تـعـالـىـ ،ـ نـحـنـ عـنـدـنـاـ وـقـائـعـ وـعـنـدـنـاـ شـرـائـعـ فـالـلـوـقـائـعـ رـبـماـ لـوـ أـعـلـنـتـ عـنـ بـضـاعـتـكـ فـيـ أـجـهـزةـ
 الـإـعـلـامـ عـنـ طـرـيقـ نـسـاءـ كـاسـيـاتـ عـارـيـاتـ رـبـماـ كـانـ هـذـاـ هـوـ الـمـانـعـ ،ـ أـمـاـ لـوـ خـفـتـ اللهـ وـلـمـ تـقـعـلـ هـذـاـ
 فـأـيـةـ طـاعـةـ اللهـ هـيـ فـيـ حـقـيقـتـهـاـ نـصـرـ لـدـيـنـ اللهـ ،ـ لـأـنـكـ إـذـاـ أـنـتـ أـطـعـتـ اللهـ وـفـلـانـ أـطـاعـ ،ـ فـالـحـقـ
 يـتـنـامـيـ ،ـ وـيـنـكـمـشـ الـبـاطـلـ ،ـ وـبـهـ تـكـوـنـ قـدـ نـصـرـتـ دـيـنـ اللهـ ،ـ أـمـاـ إـذـاـ كـانـ الـكـلـ يـأـكـلـ الـرـبـاـ ،ـ فـإـذـاـ
 خـالـفـ أـحـدـهـمـ اـتـهـمـ !ـ وـكـذـاـ الـمـصـافـحةـ وـالـاخـتـلاـطـ ،ـ فـهـذـهـ الـآـيـةـ دـقـيـقـةـ جـداـ :

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

[سورة الحج الآية : ٤٠]

ونصر الله هو نصر دينه ، وتطبيق أي حكم شرعاً هو في الحقيقة نصر لدين الله تعالى ، وبه تتسع دوائر الحق ، وتضيق دوائر الباطل ، فإذا كان بالحي بنايات كبيرة جداً أمماً مسجداً ، ثم في الصبح لا تجد إلا سبعة من المصليين ! أين قوله صلى الله عليه وسلم :

((مَنْ صَلَّى الصَّبَحَ فَهُوَ فِي ذَمَّةِ اللَّهِ فَلَا يَطْلَبُكُمُ اللَّهُ مِنْ ذَمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيَدْرِكُهُ فِي كُبَّةِ نَارِ جَهَنَّمَ))

[روايه مسلم]

وإذا رأيت جماعة كبيرة كلهم بالسيارات يوم الجمعة يمشون وتاركين لصلاة الجمعة ، أين نصر دين الله ؟ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوهَا الْبَيْعَ نَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة الجمعة الآية : ٩]

فالذى يحصل أن أمر الله هان على الناس ، فهانوا هم على الله تعالى ! قال تعالى :

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

[سورة الحج الآية : ٤٠]

فأنت أقم الشّرع ومعنى ذلك أنك نصرت دين الله تعالى ، وحينما تنتصر دين الله ينصرك الله مطلقاً وأنت لك باليوم مثات المعارك ؛ تجارتك معركة ، وبيعك وشيراؤك معركة ، وتزويج البنات معركة ، فالحياة معددة جداً ، قال تعالى :

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

[سورة الحج الآية : ٤٠]

فكل من أطاع الله يكون قد ساهم في نشر الحق ، ونصر دين الله تعالى ، وكثير سواد المسلمين .

والحمد لله رب العالمين